

الإسلام وأصول الحكم

لعلية عبد الرزاق

دراسة ووثائق
بقلم

د. محمد عمارة



Bibliotheca Alexandrina



0205137

7/11/13

الإسلام وأصول الحكم

لعلمية عبد الزازقة

دراسة وورشائق


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق : دراسة ووثائق / فكر عربي
د. محمد عمارة / مؤلف من مصر
الطبعة العربية الجديدة ، ٢٠٠٠
حقوق الطبع محفوظة



المؤسسة العربية للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :

بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية برج الكارلتون ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،
هاتفاكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١

التوزيع في الأردن :

دار الفارس للنشر والتوزيع

عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس ٥٦٨٥٥٠١

E-mail : mkayyali@nets.com.jo

تصميم الغلاف والإشراف الفني :

سليم سبيح

لوحة الغلاف :

أحمد مصطفى / مصر

التنفيذ الطباعي :

دار صبح للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان

All rights reserved . No part of this book may be reproduced , stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher .

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .

د. محمد عمارة

الإسلام وأصول الحكم

لعلي عبد الرزاق

دراسة ووثائق

P. ~~01~~
05/1/19



فاتحة الدراسة

منذ ان عرفت الطباعة طريقها الى بلادنا لم يحدث ان اخرجت المطبعة كتابا اثار من الضجة واللفظ والمعارك والصراعات مثلما اثار هذا الكتاب ..

على ان المرجع في كل ذلك لم يكن الى مجرد القضية الفكرية التي دار من حولها البحث ، والجرأة التي تناول بها مؤلفه الموضوع ، وانما كان مرد الكثير من النقع الذي اثير والصخب الذي اشتد الى مجيء هذا الكتاب سهما نافذا وجهه المرحوم الشيخ علي عبد الرزاق الى الرجل الجالس على عرش مصر يومئذ (سنة ١٩٢٥ م) الملك احمد فؤاد ، ومن ثم نشوء مجموعة من الظروف والملابسات السياسية والاجتماعية التي تصاعدت بالاثار التي تربت على صدورهم الى الحد الذي جعل منها معركة لم يسبق ان دار مثلها حول كتاب من الكتب في بلادنا منذ ان عرفت عصرها الحديث .

وفي اغلب الدراسات التي كتبت حول هذا الكتاب ، في ظل قيام حكم اسرة محمد علي بمصر ، اي فيما قبل يوليو سنة ١٩٥٢ م ، لم يستطع الكثيرون التخلص من عيوب النظرة الوحيدة الجانب في الدراسة والتقييم للكتاب .. فهم اما معه دون تحفظ ، واما ضده دونما روية او تعقل او حساب .. حتى بعض الدراسات الجادة التي تناولته بالنقد الموضوعي الذي بلغ حد التنفيذ لكثير من آرائه ، لم تسلم من شائبة مجيئها في موكب الدفاع عن النظام الملكي في مصر و «الذات المصونة» الجالسة على العرش المصري في ذلك الحين ..

ومن ثم كانت الحاجة ماسة اشد ما تكون الى تقديم نص هذا الكتاب الى القارىء المعاصر ، كي يرى فيه نموذجا لتفكير مفكر مسلم اثار معركة من اشهر المعارك في تاريخنا الفكري والسياسي الحديث ، وايضا الى التقديم لهذا الكتاب بدراسة متأملة ، ساعدت ظروفنا الراهنة ، التي تخلصنا فيها من حكم اسرة محمد علي ، وتطور عقلية مجتمعا عما كانت عليه منذ نحو نصف قرن ، وتجاوزنا لطبيعة العلاقات

التي كانت تحكم مجتمع الامس الى علاقات من نوع جديد ، وانحسار الحساسيات السياسية التي اصطدم بها هذا الكتاب ، والتي صدمت مؤلفه ... ساعدت كل هذه الظروف والتفسيرات على ان تأتي الدراسة التي تقوم بها بين يدي هذا الكتاب اقرب ما تكون الى التقييم الموضوعي الجاد لما في الكتاب من ايجابيات ، والتحديد الدقيق لمكانه في موكب الفكر المصري والعربي والاسلامي الحديث ، ومنزلته ومنزلة صاحبه من حركة الاصلاح والتجديد لفكر امتنا العربية وشعبنا الاسلامية .. وايضا النقد الهادىء والموضوعي لما في الكتاب من هنات واخطاء وسلبيات .

فهذه الدراسة التي ننهض بها الان استجابة لضرورة معاصرة تدعونا للنظر مليا في الصفحات الهامة من كتاب حياتنا الفكرية ، سواء القريب منها او البعيد ، كي نصل الحاضر الذي نعيشه والمستقبل المأمول باكثر هذه الصفحات اشراقا واعظما غنى ، ولنتعلم الشيء الكثير من شجاعة هؤلاء الذين اجتهدوا وقالوا ما يعتقدون دونما رهبة من «الذات المصونة» التي تربعت على العرش في بلادنا قبل يوليو سنة ١٩٥٢ م .

بل ان مثل هذه الدراسة - التي تأتي بعد ما يقرب من نصف قرن على صدور هذا الكتاب - هي ضرورة ابصرها الذين عاصروا صدور وعاشوا المعركة التي قامت من حوله ، وادركوا يومها ان التقييم الموضوعي لهذا الكتاب امر مستحيل في ظل الظروف والعوامل التي كانت قائمة في ذلك الحين ، فكتبوا يومها يقولون : **انه (ما من كتاب ظهر للناس في هذا العهد كانت له آثار كتاب (الاسلام واصول الحكم) .. فهو ولا شك مما يجسر الاطلاع عليه بعد انقضاء هذه العاصفة ، وتدبره بفكر بعيد عن الغايات وعن العوامل التي اثارته تلك العاصفة الهوجاء) (١) .**

ونحن نرجو ان تكون هذه الدراسة التقييمية والنقدية التي تقدم بها لهذا الكتاب جهدا جادا يحقق تلك الرغبة التي تنتظر التحقيق منذ صدور هذا الكتاب .

(١) احمد شفيق ياشا (حوليات مصر السياسية) الحولية الثانية سنة ١٩٢٥ ص ٧٩٦-٧٩٧ طبعة القاهرة ، الاولى ، سنة ١٩٢٨ م .

الملايسات السياسية لصدور الكتاب

اما الظروف السياسية ، والملايسات الدولية ، والعوامل الخاصة بالمجتمع المصري والمجتمعات الاسلامية يومئذ ، والتي ساهمت وساعدت على ان يكون لهذا الكتاب كل ذلك الخطر الذي كان له ، وان تحدث بسببه تلك المعركة الكبرى التي انعدم نظيرها .. فانها تكمن - في تقديرنا - في عدة عوامل ، على رأسها عاملان اساسيان :

العامل الاول : ان الكتاب قد تناول بحث الخلافة والإمامة في الفكر والتاريخ الاسلامي ، ثم خلص الى نتيجة مؤداها ان هذا النظام غريب عن الاسلام ، ولا اساس له في المصادر والاصول المعتمدة للدين عند المسلمين من كتاب وسنة وإجماع ، وقدم لهذا النمط من انماط الحكم في التاريخ الاسلامي صورة تنفر منه المواطن العصري ، فضلا عن الفكر الحر المستنير .

ولو ان هذا البحث قد جاء في ظرف غير الذي جاء فيه ، لما اثار ما اثار من جدل وعراك .. ولكن الذي حدث ، بل واهمية هذا الذي حدث ، ان هذا البحث قد كتب ودفعت به المطبعة المصرية الى المجتمع المصري والمجتمعات العربية الاسلامية في وقت كانت فيه قضية الخلافة الاسلامية مثارة ، بل كانت قضية القضايا واهم أحداث الساعة لدى عديد من الدوائر والاطراف .

ففي «انقرة» كان النظام التركي القومي الجديد ، بقيادة مصطفى كمال «اتاتورك» قد الفى نهائيا نظام الخلافة العثمانية في ۳ مارس سنة ۱۹۲۴ م ، وذهب بأخر صورها التي استمرت اكثر من اربعة قرون .. وخلا العالم الاسلامي السنني - للمرة الاولى في تاريخه - ممن يحمل لقب الخليفة ، او حتى لقب سلطان المسلمين .. وتطلعت لتجديد هذه الخلافة - في مختلف انحاء العالم الاسلامي - دوائر واطراف متعددة الاتجاهات ومتمايزة في الاهداف ... يرى بعضها انها واجهة يقف خلفها المسلمون في معركتهم ضد زحف الغرب واطماع الاستعمار .. ويراها آخرون اثرا

عزيزا من آثار تراث عزيز ، تستحق العمل لمد اجلها والاحتفاظ بها للاسلام
والمسلمين .. ويراها البعض واجبا دينيا واصلا من اصول الاسلام ، يآثم المسلمون
بتركها فريسة للموت والفناء .

كما تطلعت للء هذا المنصب المهيب عروش وامراء ، كان في مقدمتهم يومئذ
الملك احمد فؤاد .. ومن ثم فان كتاب (الاسلام واصول الحكم) لم يكن بحثا اكاديميا
من اباحات السياسة او علم الكلام عند المفكرين والمثقفين المسلمين ، وانما كان ،
بالدرجة الاولى وقبل كل شيء ، جهدا سياسيا في معركة سياسية حامية ، بل
ضارية ، وقائمة على قدم وساق ، كما كان تحديا لعرش وملك بكل ما وراءهما من
قوى وامكانيات ، كما كان مناوئة لقطاعات عريضة محافظة في مختلف انحاء العالم
الاسلامي ... وفوق كل ذلك كان احد العوامل التي افسدت على الاستثمار
البريطاني في مصر والشرق الاسلامي النجاح والاستفادة من «العبء» الخلافة هذه ..
كما سيأتي حديثنا الموثق عن ذلك بعد قليل .

ولذلك لم يكن بالامر المستغرب ان يشير هذا الكتاب ما اثار من المعارك والصراعات،
وان يترتب عليه من النتائج والآثار ما هو اكبر من الحجم الملائم والمتلائم مع قضاياها
الفكرية اذا اخذت مجردة ، او اغفل قارئه هذه الظروف والملابسات .. ومن هنا كان
من الضروري تقديم بعض رؤوس الموضوعات والنقاط التي تبرز وتجسد هذه الملابسات
التي تعلق بهذا السبب الاول من اسباب الضجة الكبرى التي احدثها هذا الكتاب :

★ فمن الاحداث المعروفة والشهيرة بمصر في ذلك التاريخ ذلك المؤتمر الدائم
الذي اقيم باسم «المؤتمر الاسلامي العام للخلافة» ، والذي اصدر مجلة (الخلافة
الاسلامية) كي تدعو لدعوته الرامية الى مبايعة احد الملوك والامراء بخلافة المسلمين ..
وكما تدل عليه الكثير من الوقائع والحقائق - التي ستأتي الاشارة الي بعضها - فلقد
كان العرش المصري ، والملك فؤاد واقفا خلف اغلب هذا النشاط الذي تجاوز
العاصمة الى المدن والمراكز بل وكثير من قرى مصر في اعماق الريف (1) .

ولم يكن عمل هذا المؤتمر قاصرا على المجتمع المصري ، بل تعداه الى كل
المجتمعات التي تدين بالاسلام .. والذين تعذر عليهم الاشتراك المباشر في نشاطه
كانوا يرسلون اليه والى مجلته الرسائل والمذكرات ، واحيانا كانوا يرسلون اليه

(1) وعلى سبيل المثال نجد في جريدة «الحساب» العدد الخامس ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٤ هـ
اخبارا عن قيام لجان فرعية للخلافة في بلاد محلة دياي، والقصابي، وكفرمجر، التابعة للجنة الخلافة الرئيسية
بمركز دسوق .. واخرى في بلاد قلين وروينة التابعة لمركز كفر الشيخ .. وفوه ، والسالمية .. الخ .

✳ وغير نشاط مؤتمر الخلافة ومجلته ، اخذت الكثير من الاوساط والعديد من المجالات في التركيز على الابحاث الدينية الخاصة بالخلافة والإمامة في الاسلام .. وبلغ ذلك الى حد اصدار الفتاوى التي توحى ، بل تقطع ، بان صفة الاسلام قد زالت عن المجتمعات الاسلامية وشعوبها بالغاء « اتاتورك » لمنصب الخلافة العثمانية ، وأن كل المسلمين آثمون حتى يبايعوا خليفة اخر ، وأن آثار هذا الإثم ستحل بهم عقابا في الدنيا ، وذلك فضلا عن عقاب الله لهم يوم القيامة .. وانهم قد عادوا بسبب ذهاب منصب الخلافة امة «جاهلية» ، من مات منها مات ميتة «جاهلية» .. فتنشر العديد من المجالات المقالات والفتاوى في هذه المعاني ، وبهذه الالفاظ ، وتحدث عن ان «نصب الإمام واجب في الملة ، في هذا الزمان ، كفره ، وجميع المسلمين آثمون بعدم نصب إمام تجتمع كلمتهم عليه بقدر طاقتهم ، ومعاقبون عليه في الدنيا بما يعلمه اهل البصيرة منهم ، وسيعاقبون في الآخرة بما يعلمه الله تعالى وحده ... ان الجماعة التي أمرنا باتباعها لا تسمى جماعة المسلمين الا اذا كان لها إمام بايعته باختيارها ... ان إمام المسلمين هو رئيس حكومتهم السياسية ، ويجب عليهم ان يكونوا قوة وشوكة له بمقتضى مبايعتهم له ...» (٢) .

وفي مواجهة هذا النشاط الواسع ، وذلك اللون من الوان التفكير اصدر الشيخ علي عبد الرزاق هذا الكتاب .

والعامل الثاني : الذي جعل حجم المعركة التي اثارها هذا الكتاب اكبر من حجم القضايا الفكرية التي اثارها - فيما لو اخذت مجردة - هو انه قد جاء سهما مصوبيا ضد العرش المصري ، والملك فؤاد على وجه الخصوص .. وذلك في وقت كان فيه هذا الملك يجرب طغيان العرش وجيروت النظام الملكي وفردية الاستئثار بالسلطة ضد دستور سنة ١٩٢٣ م ، وضد حزب الوفد وزعيمه سعد زغلول باشا ، وضد مجلس النواب الذي انتخب في ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٥ م ، وفاز فيه الوفد بأغلبية ساحقة رغم الضغط والتزوير ، فأصدر الملك فؤاد قرارا بحله في ٦ مارس سنة ١٩٢٥ م ، اي في نفس اليوم الذي افتتحه فيه !؟

(١) انظر «الاهرام» عدد ١٢ مايو سنة ١٩٢٥ م « وفيه تفويض للمؤتمر من المسلمين في بعض الجزر الاندونيسية «جمبي سمطرة» يقولون فيه : «سمعنا بما قمتم به من الهمة في تشكيل مؤتمر الخلافة ، وقد اجمع رأينا على ان نكل امرنا الى المؤتمر، ونعلن ارتباطنا بكم واستمدادنا للعسل بمقرراتكم ، ونرجوكم اخبارنا بما يجب العمل به» . كما بعثوا كذلك الى محمد فراج المنيوي مدير مجلة المؤتمر رسالة تناء على المجلة «التي جمعت مقاصد الخلافة ، ودمت الى جمع شتات العالم الاسلامي ، وتوحيد الكلمة» .

(٢) «النار» ج١ مجلد ٢٦ ص ٣١ عدد ٢٣ ابريل سنة ١٩٢٥ (٢٩ رمضان سنة ١٣٤٣ هـ) .